اجتماعيات

الحجاب

فى الاسلام كل خير وكل السعادة العاجلة والآجلة ، وفى الاسلام أعظم ما عرف البشر من حضارة ومدنية ، فما اعتصمت بحبله أمة إلا تسنمت ذروة المجد والكمال ، أو نبذته وحادت عن تعاليمه القويمة إلا باءت بالذل والوبال

جاء هذا الدين المتين جامعا لكل فضيلة ، وقانونه القرآن المجيد ، وهذا القانون الخالد شاملا لجميع نواحي الحياة

وكم من قوانين وضعها أولو العقول الناضجة من القادة والمفكرين بعد أن قتلوها بحثاً وتمحيصاً ، وفى نهاية أمرهم إلى القانون الاسلامي قد عادوا ، وبنور هدايته قد استضاءوا ، وكفى بنا شاهدا على ذلك أمة قد حرمت شرب الخمر وأباحت الطلاق مثل أمريكا ، وأخرى قد منعت التبرج والتهتك للنساء مثل إيطاليا ، وأمم كثيرة قد حرمت الزنا ، وستريدنا الأيام أكثر من ذلك ، ولا غرو فالقانون الاسلامى هو القانون العام الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

نظر الاسلام إلى الأسرة نظر مدبر حكيم ؛ يريد لها الهناءة والرفاهية ، فى سعادتها سعادة الشعب كله ، وفى شقائها شقاؤه كله ، نظر إليها فأحاطها بسياج من العناية ، فسن لها من السنن ووضع لها من التعاليم ما يضمن لها عيشاً رغداً وحياة طيبة لا تشوبها الشوائب ، ولا تنكر صفاءها الحوادث والنوائب ، ولا تمتد الرذيلة الى أفرادها سبيلا ، يأخذ بيد الرجل والمرأة وهما الركنان الهذان تقوم عليهما الأسرة — إلى أقصى درجة فى الآداب الفاضلة ، ثم اختص المرأة بكبير بره وعاطفه ، لأنها ضعيفة الجانب ، كسيرة الجناح ؛ فرفع من شأنها وأكبرها أيما إكبار ، وجعلها درة مكنونة لا تنال إلا بالمال يدفعه إليها من يكافئها من الرجال مالا وحسباً ونسباً ، وجعلها جوهرة نفيسة حرم على الرجل أن ينظر إليها ؛ وحرم عليها أن تنظر إليه أو تظهر له زينتها إلا من وجه مباح ، لهذا شرع لها الحجاب وهو ما أعنى الكلام عنه فى هذه العجالة

ليس فى الشرائع شريعة أنصفت الرجل من المرأة والمرأة من الرجل ، أو حافظت على المرأة وراعت حقوقها فساوتها بالرجل كالشريعة الاسلامية السمحة التى تفضل الله تعالى بها على البشر ، وهذا قوله عز وجل « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » قد قطع ألسنة

المكابرين ، وألجم أفواه المعاندين ، إلا أن الثورة التي قام بها ضد الاسلام دعاة السوء والالحاد وعباد الشهوات ؛ ومن فتنهم الغرب بمظاهره ومدنيته الكاذبة ؛ عندما لحقتهم الهزيمة وحاق بهم الفشل ، فلم ينجحوا في مقاصدهم من التجريح في الاسلام والحط من قدره ؛ سلكوا طريقا آخر وأثاروا زوبعة أخرى حول المرأة وما جاء بشأنها في الاسلام ، فتقولوا عليه الأقاويل في غير ما حياء ، ووصموه زوراً في غير ما انصاف ، وقالوا إن الحجاب للمرأة جمود وظلم ؛ فأقاموا حربا عوانا وأوهموها أنه حرب لها . وحسنوا لها القبيح وقبحوا لها الحسن ، والمرأة ضعيفة شديدة التأثر ، سريعة الانخداع ؛ فاغتر بزورهم شيعيات المتعلمات من الفتيات والنساء ، أو من تلقين قشورا من علم لايمت للاسلام بصلة ، فاطرحن الحجاب ؛ سافرات يتسكعن في الشوارع والطرقات ؛ ودسن بأقدامهن الفضيلة والحياء والعفاف ؛ مما تنفر منه النفوس وتستهجنه العقول . فكسدت سوقهن ، وأعرض الشبان عن زواجهن ؛

أمر الاسلام المرأة بالقرار في بيتها وألا تخرج منه إلا بأذن منه ، وأن تتجمل بالحجاب والحشمة والحياء وأن تصون نفسها من نظر الغير اليها ، ونهى عن اختلاطها بالرجل الأجنبي قال تعالى « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » وقال تعالى « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن » وقال تعالى « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن »

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لابنته السيدة فاطمة رضي الله عنها « أي شيء خير قالت ألاترى رجلا ولا يراها رجل ؛ فضمها صلى الله عليه وسلم إليه وقال :« ذرية بعضها من بعض » واستحسن كلامها

جاء الاسلام بكل هذا لا محافظة على المرأة وصونا لها ولعفافها فحسب ؛ بل لأن العقل السليم يراه ويقره ؛ ألا ترى أن الفوضى الخلقية التي عمت البلاد الغربية وغيرها من البلاد التي نحت نحوها على غير تدبر وبصيرة ؛ يرجع سببها إلى اختلاط المرأة بالرجل ؛ حتى أضحوا اليوم ينادون بوجوب العمل على علاج هذه الحالة التي تنذر بالخراب وسوء المنقلب ، ويتمنون أن لو كانت بلادهم كبلاد الاسلام

تقول الكاتبة الشهيرة « مس آني رود » . لأن يشتغل بناتنا في البيوت خادمات خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل ؛ حيث تصبح البنت ملوثة بما يذهب رونق حياتها إلى الأبد ، ألا ليت بلادنا كبلاد الاسلام فيها الحشمة والعفاف والطهارة »

وصفوة القول أن الحالة الخلقية في البلاد يحتاج اصلاحها إلى شيء من الحكمة ، وليس الأمر يسيرا كما يظن البعض ، فالحالة بيد الرجل — والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته

محمود فكري ـ نقيب قنا